مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 01 السنة 2022 ص 362 - 381

تاريخ الإرسال: 2020/09/25 تاريخ القبول: 2021/11/21
تاريخ النشر: 2022/03/17

تداولية الخطاب في القرآن الكريم-خطاب الآباء والأبناء أنموذجا-

Pragmatic of speech in the Holy Quran- Parents and children's speech as a model.

عاطف عبران[1]، قدور سلاط.[2]
جامعة الشيخ العربي التبسي، تبسة، [1]atef.abrane@univ-tebessa.dz
جامعة الشيخ العربي التبسي، تبسة، [2]kaddoursellat@gmail.com

الملخص:

يقف هذا البحث أمام دراسة الخطاب في القرآن الكريم من جانب تداولي، مخصصا المجال التواصلي الأسري وخطاب الآباء والأبناء، ويعالج البحث موضوعه في اتجاهين نظري عبر بسط حدود التداولية ومرتكزاتها، وكذا الخطاب القرآني وخطاب الآباء والأبناء، واستراتيجيات الخطاب، واتجاه تطبيقي درس فيه خطاب الآباء والأبناء من جانبين: من منظور درجات التداولية، واستراتيجياته الخطابية وأبعاده التداولية. وركز البحث على تحليل الخطاب وضبط آلياته التداولية: الإشاريات ومتضمنات الأقوال والأفعال الكلامية، والاستلزام الحواري، وكذا تحديد الاستراتيجيات الخطابية التوجيهية والحجاجية والتضامنية؛ التي ظهرت جليا في خطابات الآباء والأبناء، وقد سمح التحليل التداولي لهذا الخطاب بالكشف عن مضامينه وأبعاده التداولية، وبيان أثر وجماليات الخطاب القرآني الذي انماز بسمة التوجيه والإرشاد.

الكلمات المفتاحية: تداولية؛ خطاب قرآني؛ خطاب الآباء والأبناء؛ استراتيجيات الخطاب؛ أبعاد تداولية.

Abstract:

This research stands in front of the study of discourse in the Holy Qur'an from a pragmatic side , Dedicated to the family communication field and the speech of parents and children, The research deals with its topic in two directions theoretical by extending the limits of pragmatic and its foundations, as well as the Qur'anic discourse, the discourse of parents and children, and discourse strategies, And an applied direction in which the speech of parents and children is studied from two aspects: From the perspective of pragmatic degrees, discursive strategies and pragmatic dimensions. Which was evident in the speeches of parents and children, the pragmatic analysis of this discourse allowed to reveal its content and pragmatic dimensions, and the statement of the impact and aesthetics of the Quranic discourse, which was characterized by advice and guidance.

Keywords: pragmatic, Quranic discourse, parent-child speech, discourse strategies. Pragmatic dimensions.

المؤلف المرسل: عاطف عبران: ATEF.ABRANE@UNIV-TEBESSA.DZ

مقدمة:

تشكل اللغة وسيلة تواصل بين المتخاطبين تتيح لهم التعبير عن مقاصدهم، بشتى الطرق والوسائل اللغوية منها وغير اللغوية، وتتنوع أشكال استعمالاتها وتوظيفها في المحادثة والحوار والتعليم وغيرها، ولا ريب أن مستعملي اللغة يختارون حسب ظروف الكلام وسياقاته ومقامه، ما يسهم في إنجاح العملية التواصلية. ولا جرم أن دراسة الخطاب القرآني وأساليبه وأفانينه من أسمى وأشرف الدراسات؛ حيث يبقى قبلة الدارسين والباحثين، خاصة في المجال اللغوي واللساني؛ نبع ثرّ ورافد غزير، ومن موضوعاته خطاب الآباء والأبناء؛ حيث سينصبّ فيه مجال هذا البحث

من خلال المجال التداولي، الذي يعنى بالجانب الاستعمالي للغة مع مراعاة السياق والمقاصد والمقام. وخطاب الآباء والأبناء في القرآن الكريم وإن تعدّدت موضوعاته فإنه يقع في الشق اللغوي الاستعمالي والتواصلي، وفيه نماذج تحمل هذا الخطاب في شكل حوارات، ووصايا، وتوجيهات، وغيرها، ولعل من أبرزها ما جاء على لسان الأنبياء وآبائهم أو أبنائهم. وتعد التداولية أهم الدراسات اللسانية الحديثة التي بزغت في العصر اللساني الحديث؛ رغم قصب السبق العربي لها؛ فقد كان لها ميدان رحب وجذور في التراث اللغوي العربي، وإن لم يعرف لها مصطلح "التداولية" حينها، إلا أنها مورست وطبّقت آلياتها بين طيّات الكتب العربية. وسيقف البحث على أهمية المنهج التداولي في فهم الخطاب وتحليله، ودوره في نقل مقاصد المتكلمين والتأثير في المتلقين، وكذا مدى فاعليته من خلال استثماره في المواقف اللغوية التواصلية، وتتبع الأبعاد التداولية للخطاب والاستراتيجيات والآليات التداولية الناجعة لتحقيق هدف اللغة والتواصل.

وبداية البحث من الإشكالية: ما مدى فاعلية ونجاعة الدرس التداولي في فهم الخطاب ومضامين نصوصه؟ وما الآليات التداولية الموظفة في خطاب الآباء والأبناء؟ وما أبعاده التداولية؟ وسيدرس البحث في قطبيه التداولية والمجال التطبيقي وهو خطاب الآباء والأبناء في القرآن الكريم؛ حيث سيتم بسط حدود مكونات الدراسة: التداولية، والخطاب القرآني وخطاب الآباء والأبناء؛ هذا في شقه النظري، أما الشق التطبيقي فسيكون بتحليل تداولي لنماذج من خطاب الآباء والأبناء في القرآن، من خلال درجات التداولية، بالإضافة إلى تحديد الاستراتيجيات الخطابية وأبعادها التداولية.

أولا: التداولية: من الاتجاهات اللسانية الحديثة التي كسبت اهتمام الباحثين واللسانيين، وتتداخل التداولية مع العلوم الإنسانية والحقول المرتبطة باللغة " وهي فرع

علمي يتكون من مجموعة العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عليات الكلام بصفة خاصة ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام[1]." ومثلما يشير إليه المفهوم اللغوي للتداول وهو الانتقال والتغيير، فالاصطلاح يبحث في المتغيرات الكلامية وعلاقتها بالمتكلمين وأطراف العملية التكلمية. "وهي فرع من علم اللغة الحديث يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، وتدرس معنى الكلام. وهي مأخوذة من تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب وحدوث التفاعل بينهما [2]" وتهتم بالسياق والمقام والعناصر اللغوية وغير اللغوية أثناء استعمال اللغة، أو عند العملية التكلمية، ويمكن الاتفاق على التعريف القائل بأنها دراسة العلاقة بين اللغة وقائليها، أو دراسة اللغة في الاستعمال. **ومن أبرز عناصر الجهاز التداولي:**

أ: الإشاريات: تمثل الدرجة الأولى من جهاز التداولية؛ حيث هي "أشكال إحالية ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه."[3] وتجمع بين الضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وظروف المكان والزمان، والعلاقات الاجتماعية؛ "فهي تعبر عن مفاهيم إنسانية أساسية كمفهوم الشخص والزمان والمكان[4]"

ب/ متضمنات القول: يوحي هذا المفهوم بالشيء المضمر الضمني الباطني، يوجد داخل الكلام لا يصرح به المتكلم، " فالكلام لا يمكن أن يأتي دائما مباشرا، بل يمكن أحيانا حمل المتلقي على التفكير في شيء غير مصرح به وهو كلام متضمن في القول الصريح."[5] فيدخل المتلقي مباشرة في إنتاج الكلام. وهو مفهوم تداولي" إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروفه العامة كسياق الحال وغيره."[6] ويدخل ضمن هذا المفهوم:

(الافتراض المسبق: يمثل هذا العنصر نقطة ينطلق منها المتخاطبون، يعلمون حيثيات الخطاب والتفاصيل التي لن تظهر مجددا، بل ظهرت ويبقى أثرها في

الخطاب، **والأقوال المضمرة:** إخبار دون تصريح وهو كلام ضمني: كلام لا يظهر على سطح الكلام. أو يمكن استنتاجه بالتلميح، وتستعمل متضمنات القول "خشية من خرق بعض العادات الكلامية الاجتماعية إذ يلجأ إلى استعمال الحيلة ليضمن عدم جرح مشاعر المستمع."[7])

ج / الاستلزام الحواري: يشير إلى الحوار الذي يتطلب وجود طرفين لتنشأ المحادثة، وما تتطلبه من قواعد لإنجاحها، " ويقوم على استقامته وتظهر في استعمال التراكيب الصحيحة المنطلقة من كيفية الأداء الحواري والتدرج فيه وصولا إلى انتمائه وسلامته اللغوية وتوفيقه بين أطراف العملية التخاطبية."[8] ويقوم على مسلمات ومبادئ.

د: الأفعال الكلامية: يمثل الدرجة الثالثة لدرجات التداولية وهو أشهر مرتكزاتها، عمل ينجزه المتكلم بملفوظات معينة كالتحذير والوعد والشكر والتهديد أو الإعلان... ينجزها المتكلم من أجل التواصل الذي يتحقق بالتأثير على المتلقي بأمره أو نهيه أو الحكم عليه. وقد ميز أوستين بين نوعين من الكلام: وصفية وإنجازية (الخبر والإنشاء في البلاغة العربية)"الوصفية والإنجازية (المنطوقات التقريرية والأدائية) الأولى تصف والثانية تنجز الأفعال."[9] والصدق والكذب من مميزات الوصف والتفريق بين الأسلوبين. والأفعال الكلامية عند سيرل: تأكيديات، توجيهيات، إلزاميات، تعبيريات، تصريحيات.

هـ: الحجاج: ظاهرة لغوية مبثوثة بين الأفعال والأسماء والحروف. وهو باب مهم من أبواب التداولية؛ "سلسلة من الأدلة تقضي إلى نتيجة واحدة أو هو الطريقة التي تطرح بها الأدلة"[10] وكأن المتكلم أمام برهنة أقواله وإثبات صحتها بهذه الطريقة، وهذا الهدف من الحجاج كما يراه طه عبد الرحمان:" هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها."[11]

ثانيا: استراتيجية الخطاب وأبعاده التداولية: يتمثل الخطاب في كل منطوق أو مكتوب، يرد في سياق معين وتحيط به ظروف مقامية معينة، وله مقاصد خاصة، ويراعى فيه عناصر العملية التخاطبية: المخاطِب، المخاطَب، الخطاب، الظروف والمقام، المحادثة والحوار؛ وهذه العناصر توافق طرح التداولية في العناصر (المرسل، المرسل إليه، الرسالة، القناة، المرجع، اللغة) ويرى المتوكل أن الخطاب:" كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية.[12]"

الاستراتيجية: يوحي لفظ الاستراتيجية بالتخطيط والتنفيذ، وهي "فن استخدام الإمكانات والوسائل المتاحة بطريقة مثلى لتحقيق الأهداف المرجوة على أفضل وجه ممكن."[13] وسياق الخطاب وظروفه هو من يحدد الاستراتيجية المناسبة لذلك، ومن الاستراتيجيات: **أ: الاستراتيجية التضامنية:** تهتم بالعلاقة الطيبة بين طرفي الخطاب، وتسعى للحفاظ عليها؛ فتوظف وسائل وأساليب من شأنها الحفاظ على هذه العلاقة الطيبة بين المتخاطبين؛ فنجد عبارات التودد والتلطف والنداء بالاسم، والتصغير الذي باعثه الود، واللين والرقة في الكلام وتجنب الخشونة والجفاء....

ب: الاسترتيجية التوجيهية: استراتيجية خطابية يستعملها المتكلم وفق مراعاة المرسل إليه والمقام والسياق والظروف المحيطة، وغرض المرسل فيه يتطلب تنفيذ أمر أو إنجاز فعل من قبل المرسل إليه بأسلوب مباشر أو غير مباشر، فيستعمل الأمر والنهي والطلب، وذكر العواقب والترغيب والترهيب... وفيها توجيها وإرشاد مهما اختلفت مرتبة المتكلمين حيث يختلف معها التوجيه بين الأمر والطلب والالتماس ...

ج: الاستراتيجية التلميحية: استراتيجية غير مباشرة لا يتم التصريح بالمراد وإنما يكون هناك تلميح سواء باستعمال الأساليب البلاغية كالكناية والاستعارة والتمثيل أو الرمز والتعريض، أو الحذف والإيجاز، أو تغيير المفردات، ويحدث التلميح لوجود ما يمنع التصريح كالخجل أو الخوف ...

د: الاستراتيجية الحجاجية: يهدف من خلالها المتكلم إلى التأثير في المتلقي ومحاولة تغيير موقفه، ومنه سيسعى إلى إقناعه. فيوظف آليات حجاجية وأدلة عقلية ومنطقية للإقناع والتأثير.

ثالثا: تحليل بعض النماذج: يمّاز الخطاب القرآني بالشمولية والعموم فهو موجه لعامة الناس إلى يوم البعث دون استثناء، كما يتّسم بالخصوصية ففيه ما هو موجه للنبي، كقوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (الأحزاب: 37)، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الأحزاب: 1)، ومنه ما هو موجه للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (المائدة: 1)، ومنه ما هو موجه للمنافقين: ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(الفتح: 15)، ويتّصف بالسلاسة والدقة والفصاحة، ومناسبة الألفاظ للمعاني، وحسن النظم. "ألفاظ القرآن لب كلام العرب وزبدته، وأن ما عداها وعدا الألفاظ المشتقات منها كالقشور والنوى بالنسبة إلى أطايب الثمر، وكالحثالة والتبن بالنسبة إلى لبوب الحنطة.[14]" وشمل خطاب الآباء والأبناء عدة موضوعات أهمها: الدعوة إلى التوحيد، والتمسّك والثقة بالله وعدم اليأس، النصح، الوعظ، الاعتذار، وتوجيهات تربوية وأخلاقية، وقد اعتمدت أساليب: الاستفهام، الحجة، النداء، التوكيد، الأمر، النهي، تقبيح الفعل السيء، ذكر العواقب، المسالمة والتلطف، الجفاء والغلظة، وسيتم تحليل بعض نماذج من خطابات الآباء والأبناء في القرآن الكريم من الناحية التداولية من خلال: خطاب الآباء والأبناء من منظور درجات التداولية، واستراتيجيات الخطاب وأبعاده التداولية.

1: إبراهيم مع والده: سورة مريم: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45) قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (47) ﴾ (مريم)، الحوار بين إبراهيم ووالده يحصر الإشاريات الشخصية بينهما في الضمائر المتكلم (ياء المتكلم) والمخاطب (تاء المخاطب) التي تعود عليهما مع التصريح بلفظ الشيطان وتكريره، ومسألة الأبوّة والبنوّة هي التي تمثلها الإشاريات الاجتماعية، حيث العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتخاطبين، وفي الآية إضمار تداولي عبر عنه (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر...إنه قد جاءني...)الهدى، ونفترض أن والد إبراهيم خارج عن دين الله ومن المتشددين في هذا الطريق، مما دفع بإبراهيم إلى إقناعه..

وقد اشتمل موضوع الأفعال الكلامية في هذا الحوار: دعوة إبراهيم إلى الله ورفض والده، والفعل الإسنادي فيها من محمول الأفعال (اتبعني، لا تعبد الشيطان...)، والفاعل العائد على إبراهيم تارة ووالده، أما الفعل الإحالي؛ فالإحالة فيها إلى النبي إبراهيم عليه السلام ووالده، والفعل الدلالي؛ قضيته الدعوة إلى الله، الاقتضاء فيه: رفض الدعوة ومحاولة الإقناع، واستلزامه المنطقي: الإصرار على عدم الإيمان، استلزمه إصرار على الدعوة ومحاولة الإقناع، والفعل الإنجازي بقوته الإنجازية الحرفية: الأمر والنهي، والقوة الإنجازية المستلزمة: النصح والدعوة. فهذا الحوار يدخل في عمومه ضمن الإخباريات في بنيته الكبرى وتوجيهيات في أفعاله الكلامية من خلال ملفوظات تحمل قوتين إنجازيتين إخبارية وتوجيهية، وهي ذكر ما

دار بين إبراهيم ووالده، وإنجازية غير مباشرة تمثل في النصح والوعظ، وصد ورد والد إبراهيم، الذي حمل فعله الكلامي التهديد والتحذير، لكن إبراهيم كان ألطف من خلال الوعد بالاستغفار له. كما حمل قبل ذلك وعيد بأن يمسه عذاب من الرحمان، عبر عنه من خلال خوفه.

واستعمل إبراهيم في خطابه الاستراتيجيات المناسبة؛ التي تليق بمقامه، فاستعمل الاستراتيجية التضامنية، فكان حريصا على الحفاظ على علاقته مع والده بانتقاء الأسلوب الملطّف اللّين، بداية بتوظيفه كلمة (يا أبت) التي كررها أربع مرات يا أبت: تكرير 4مرات: اقتضاه مقام استنزاله إلى قبول الموعظة لأنها مقام إطناب ونظر ذلك تكرير لقمان: يا بني 3 مرات، بخلاف نوح مرة يا بني، لضيق المقام الذي يقتضي الإيجاز."[15]وقد" افتتح إبراهيم خطابه أباه بندائه مع أنّ الحضرة مغنية عن النداء قصدا لإحضار سمعه وذهنه لتلقي ما سيلقيه إليه.[16]"ودعمها بالاستراتيجية التوجيهية المباشرة وغير المباشرة بأساليب الاستفهام (لم تعبد مالا يسمع) مع الإنكار، وتقبيح العمل السيء وذكر العواقب (إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان)، الله أبلغ إليك الوعيد على لساني. والأمر (اتبعني أهدك) والنهي (لا تعبد الشيطان)، وأضاف الاستراتيجية الحجاجية محاولا إقناعه باتباع ما أرسل به. و"ألقى إليه حجة فساد عبادته في صورة الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطئ، لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر: ابتدأ بالحجة الراجعة إلى الحس: حجة محسوسة، وانتقل إلى تنبيهه على أن ما هو فيه أثر من وسواس الشيطان[17]

أما والده فلم يستعمل الاستراتيجيات التي تخدم الخطاب، وخرق مبدأ التأدب واعتبار التقرب، فخرق قاعدة اللباقة والسخاء والتواضع والاتفاق والتعاطف، حتى أنه ناداه باسمه (يا إبراهيم) ولم يقل يا بني، وقوله: "أراغب أنت...: استفهام للإنكار، إنكارا لتجافي إبراهيم عن عبادة أصنامهم، وكلامه فيه جفاء وعنجهية، أما إبراهيم

لين ورقة.[18] "اهجرني: أمره بهجرانه ولم يخبره بأنه هو يهجره ليدل على أن هذا الهجران في معنى الطرد والخلع إشعارا بتحقيره.[19]

وقواعد الاستلزام الحواري هذه حافظ عليها إبراهيم في خطابه، والغرض التداولي الذي يستنبط من هذا الحوار محاول إنقاذ إبراهيم لأبيه ودعوته للإيمان؛ فكان ناصحا واعظا مسالما، متمسكا برابط البنوّة الذي دفعه للاستغفار له. " قال سلام عليك...: سلام توديع ومتاركة"[20]وتميز أسلوبه بالحسن والتدرج في النصح والتلطف مع الوالد وآداب الحجاج. "كان جامعا لخصائص النبيين والصديقين حيث خاطب أباه تلك المخاطبات."[21]

2: إبراهيم مع ابنه: سورة الصافات:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾(الصافات: 102) انتقلت الإشاريات في هذا الحوار بتبادل الأدوار، حيث إبراهيم عليه السلام هو الأب، في حوار مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، وجاءت القصة بإيجاز وبأسلوب جمالي، وفهم الابن مقصد ولده ومنامه، وقبل ذلك بصدر رحب. والفعل الكلامي هنا الإخبار بالرؤيا: إني رأيت في المنام أني أذبحك، وجواب الابن: افعل ما تؤمر: الفعل الإسنادي ينكون من محمول الفعلين: رأيت وأذبحك، افعل، تؤمر، وموضوعها الفاعل والمفعول بالضميرين العائدين على إبراهيم وإسماعيل. والفعل الإحالي: إحالة إلى النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام. أما الفعل الدلالي: إخبار بالرؤيا التي هي وحي، وجواب الابن: كان الاقتضاء فيها: فهم الابن للرؤيا والوحي، أما الاستلزام المنطقي فالقبول بالذبح دون تردد أو استفسار. الفعل الإنجازي: قوة إنجازية حرفية: الإخبار. وقوة إنجازية مستلزمة: الأمر والتوجيه للقيام بالذبح وتنفيذ الرؤيا التي هي وحي. ويدخل حوارهما في الإخباريات بذكر القصة، وفي التوجيهيات من خلال فعل الأمر الطلبي المباشر (افعل ما

تؤمر)، وغير مباشر بذكر الرؤيا(إني أرى في المنام أني أذبحك)، والقوة الإنجازية هي القبول والهمّ بتنفيذ ما أمر به دون تردد أو استفسار، والافتراض المستنبط هو فهم الابن مراد والده وأنه قد أوتي من الحكمة، قال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي " وعن النبي قال: "رؤيا الأنبياء في المنام وحي" وأعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه.[22]"فلم يطرح سؤالا ولم يستفسر، بل قبل مباشرة. واعتمد المتخاطبان هنا الاستراتيجية التضامنية (يا بني، يا أبت...) والتوجيهية (افعل ما تؤمر) والتلميحية (إني أرى في المنام أني أذبحك) أما قوله: فانظر ماذا ترى: فهو كما قال ابن عاشور:" نظر العقل لا نظر البصر، والتعبير عن الذبح بالموصول "ما تؤمر: يفيد وحده إيماء إلى السبب الذي جعل جوابه امتثالا لذبحه، والجمع بين الإذن وتعليله."[23]

3: يعقوب مع أبنائه:﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) ﴾ (البقرة)، جمعت الإشاريات بين المتخاطبين يعقوب وأبنائه، وقد كانوا اثنا عشر، وهي بذلك تمثل الإشاريات الاجتماعية الأب وأبنائه، والإشاريات الزمانية عامة: زمن يعقوب وأبنائه، وخاصة عند اقتراب موت يعقوب (إذ حضر يعقوب الموت)، وموضوع الحوار هو وصية يعقوب لأبنائه واتباع دين الله وعبادته، "نزلت الآية في اليهود حين قالوا للنبي أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية.[24]" "وصّى بها: ووصّى بهذه الكلمة 'أسلمت لرب العالمين' وهي الإسلام، الذي أمر به نبيه وهو إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له: وصّى: عهد إليهم وأمرهم."[25] "أجمل هنا اعتمادا على ما صرح به في قوله سابقا: يا بني إن الله اصطفى لكم ... وهذا تنويه بالحنيفية أساس الإسلام وتمهيد

لإبطال قولهم: كونوا هودا أو نصارى، وإبطال لزعمهم أن يعقوب كان على اليهودية وأنه أوصى بها بنيه."[26]

وقد وظف في وصيته نكتة بلاغية: بقوله" فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون: فالموت ليس في قدرة الإنسان حتى ينهى عنه، ولكن في النهي عن عدم إسلامهم حال موته.[27]" والافتراض المسبق أن يعقوب لم يكن يشك في عقيدة أبنائه والذي حمله على السؤال تأكيد رسالته وترسيخها في أذهانهم؛ فالوصية جاءت عند الموت وهو وقت التعجيل بالحرص على إبلاغ النصيحة في آخر ما يبقى من كلام الموصى فيكون له رسوخ في نفوس الموصين وجاء في وصيته بأسلوب استفهام لينظر مقدار ثباتهم على الدين حتى يطلع على خالص طويتهم ليلقي إليهم ما سيوصيهم به من التذكير وجيء في السؤال بما الاستفهامية دون من لأن ما هي الأصل عند قصد العموم لأنه سألهم عما يمكن أن يعبده العابدون.[28]" وتنوّعت الأفعال الكلامية بين السؤال باستفهام مباشر وجوابه؛ والفعل الإسنادي: من محمول الأفعال: تعبدون، نعبد... والفاعل بالضمير العائد على الأبناء وأبيهم يعقوب، والفعل الإحالي فيها: إحالة إلى النبي يعقوب وأبنائه.

أما الفعل الدلالي: وقضيته: الوصية بعبادة الله وحده وبالإسلام، وبالفعل الإنجازي: قوة إنجازية حرفية الاستفهام والجواب **(إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي، قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ...)** وقوة إنجازية مستلزمة متمثلة في الوعظة وترسيخ العقيدة السليمة التي سينقلونها لأبنائهم وللأجيال اللاحقة وهو الغرض التداولي للوصية، وقد كانت هذه القوة الإنجازية باعتماد الاستراتيجية التوجيهية المباشرة. ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾(يوسف: 5): عن الحظر اللغوي في الآية خاص، تتمثل في حظر قص الرؤيا، فيعقوب المخاطب جعل قص يوسف للرؤيا التي رآها في منامه محظورا، وهو

المخاطب بضمير "ك" في رؤياك" وصرّح بأصحاب هذا الحظر وهم إخوة يوسف. والافتراض المسبق: علم يعقوب وحدسه بمصير يوسف إذا قصّ الرؤيا، فنفترض هناك غيرة من إخوته، ومحاولة كيدهم له، إضافة أنّه قصّها على أبيه فقط، وأنها رؤية ليست عادية ولها دلالات عظيمة، وهو ما أثبته القرآن وتحقق الرؤيا، الاقتضاء التداولي: النهي عن قص الرؤيا على الإخوة يقتضي النهي عن قصها على غيرهم، فالإخوة سيكيدون، فماذا عن غير الإخوة، وإذا قصّها على غيرهم سيسمعون بها. فعل كلامي: محظور لغوي خاص بيوسف وأبيه فقط. لا تقصص رؤياك. فعل إسنادي: ج. ف. محمول الفعل لا تقصص رؤياك والموضوع الفاعل يوسف الضمير المستتر. فعل إحالي: إحالة إلى يوسف بالضمير المستتر وإلى إخوته بالتصريح. فعل دلالي: القضية: الأمر بعدم قص الرؤيا.

اقتضاء: الخوف مما قد يحصل إذا قصّ. واستلزام منطقي: أخذ الحيطة.

فعل إنجازي: قوة إنجازية حرفية: الأمر بعدم القص أو النهي عن القص.

قوة إنجازية مستلزمة: الخوف عليه مما أدّى إلى أخذ الحيطة والحذر.

فالملفوظ توجيهي تضمن نهي يعقوب ليوسف عن القص تنبيها له، وقد استجاب لوالده ولم يذكر لهم ذلك، القوة المباشرة للفعل الكلامي: النهي وغير المباشرة الخوف الذي أدّى إلى التنبيه وهو الغرض التداولي للمحتوى القضوي.

4: نوح مع ابنه: قال تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (42) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (43) ﴾(هود) دار الحوار بين نوح وابنه حين جاء أمر الله وقضي بالطوفان؛ حيث نادى نوح ابنه ليركب معه السفينة؛ سفينة النجاة، ودعوته هذه "كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقة العرض التحذير.[29]"

لكن الابن رفض وأبى، وتجمع الإشاريات بين نوح وابنه، والزمان حين أمر بالطوفان "وغيض الماء وقضي الأمر"، والقول المضمر في الحوار: رفض ابن نوح لدعوة أبيه، فلم يقل له: (لن أركب، أو لن أذهب معكم)، والافتراض المسبق في الحوار أن ابن نوح لم يكن على دين أبيه، وكان متشبثا بقرار عدم الركوب آملا النجاة في جبل، جاهلا بما هو آت، وأن الجبل نفسه غير ناج، وفي الحوار أفعال كلامية: اركب معنا، ولا تكن مع الكافرين، سآوي إلى جبل، لا عاصم اليوم من أمر الله، الأفعال الإسنادية فيها: من محمول الأفعال (اركب، تكن، سآوي) وفاعلها(انت وأنا: العائد على ابن نوح) وكذلك من الجملة الاسمية: لا عاصم: اسم لا، وخبرها المحذوف، والفعل الإحالي: إحالة إلى ابن نوح. والفعل الإنجازي بقوته الحرفية: العرض والأمر(اركب معنا) والنهي(لا تكن)، والجواب(سآوي)، والقوة المستلزمة: النصح والتوجيه والدعوة، والأفعال الكلامية في الملفوظات التقريرية والوصفية؛ الأول نداء نوح ودعوته لابنه (يا بني اركب معنا)، والثاني جواب ابنه بالرفض وعدم الركوب بأسلوب غير مباشر، عن طريق ذكر البديل والاتجاه الذي سيأخذه، والثالث رد نوح وإعطائه المعلومة الدقيقة وطوق النجاة الوحيد، والقوة الإنجازية المستلزمة في الفعل الكلامي لنوح هو النصح والدعوة إلى دين الله، وهو الغرض التداولي، فكانت الاستراتيجية التوجيهية واضحة، وبالاستعانة بالحجاجية، مع توظيف التضامنية، باستعمال عبارات التلطف (يا بني، عدم تصريح الابن بالرفض مباشرة، بل قام بالتلميح بذكر البديل)

5: الابن العاق مع والديه: ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾(الأحقاف: 17) ذكرت الآية في سياق ذكر تعامل الأبناء والآباء، فبعدما تم ذكر صفات الابن الصالح الذي حين يبلغ

الأربعين يشكر الله ويعمل صالحا ويدعو لوالديه، ذكر الابن غير الصالح، وقال القرطبي أنها: "نزلت في عبد كافر عاق لوالديه[30]"، وذكر الزمخشري: "الجنس القائل ذلك القول وعن الحسن: هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث.[31]" وهو ما ذهب إليه ابن عاشور بقوله: "الابن لا تعني شخصا معينا وأنّ المراد منها فريق أسلم آباؤهم ولم يسلموا حينئذ.[32]" ومنه فالإشاريات تجمع الابن العاق المعبر عنه بالاسم الموصول (والذي قال)، والوالدين–وهنا إشارية اجتماعية–من خلال الضمائر التي تعود عليهم، (هو، هما، أنت، أنتما: المستترة، والمتصلة).

ومن الأقوال المضمرة صفات هذا الابن السيئة التي ذكر منها التأفف على الوالدين، وإنكار البعث، والافتراض المسبق أن الابن أشد سوءا وعقوقا ومتشبث بقراره، ورقة الوالدين وخوفهما عليه، حيث عبر عن ذلك بـ (وهما يستغيثان الله آمن)، وتنوعت الأفعال الكلامية هنا بين الإخبارية (إن وعد الله حق) والتوجيهية(آمن) والتعبيرية (أفّ لكما) معبرا عن سخطه منهما، الفعل الكلامي التعبيري المحظور: "**أف**": اسم فعل أمر: بمعنى كفا واتركا. ومنهم من عده: اسم فعل ماضي: كرهت وتضجرت، أو اسم فعل مضارع: أتضجر منكما وأتوجع.[33] فالفعل الكلامي الأول "أف" من التعبيريات والإفصاحيات حيث عبر المتكلم عن مشاعره وانفعالاته، وهنا الابن في حالة الغضب والتضجر. فهذا الفعل الكلامي تتمثل قوته الإنجازية في تذمر الابن من والديه، وقد حقق هذا التعبير غرضا إنجازيا تداوليا تمثل في سوء التعبير من خلال إبداء التذمر والغضب بالقول المحظور الموجه للوالدين. ثم جاء بعده الاستفهام "أتعداننني" وهو تابع للتضجر منهما، وكان ردهما الاستغاثة وأمره بالإيمان، والفعل الكلامي لهما: آمن: الفعل الإنجازي: قوة إنجازية حرفية: الأمر، وقوة إنجازية مستلزمة: التوجيه والدعوة إلى الإيمان والرجوع عن الإنكار. وقد خرق الابن العاق قواعد اللباقة ومبدأ التأدب والتعاون، واستلزم خطابه خروجه عن دين الله

مما يقتضي العذاب، واعتمد الوالدان الاستراتيجية التوجيهية بفعل الأمر والحجاجية بإقناع الابن ودعوته للإيمان، وغاب التلميح والتضامن فيها، لأن المقام يستدعي ذلك، والغرض التداولي من نقل الحوار بين الابن العاق والوالدين الصالحين، ذكر معادن الناس ومصير الصالح والطالح، ووجب النصح ومحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل فوات الأوان ووجوب العذاب.

6: لقمان مع ابنه: ذكر القرآن ما جاء في وصايا لقمان؛ حيث مثل هذا الخطاب الأبوي في هذه الآيات مجموعة وصايا لقمان لابنه، شمل مسألة التوحيد وعدم الشرك بالله، وطاعة الوالدين في طاعة الله، وجانب الأخلاق والمعاملات، فكانت الإشاريات بضمائرها عائدة على لقمان وابنه، وجمعت الأفعال الكلامية في باب التوجيهيات، باتحاد قوتها الإنجازية المستلزمة رغم اختلاف القوة الإنجازية الحرفية، التي تنوعت بين الأمر: (أقم الصلاة وامر بالمعروف، واصبر، وانه عن المنكر، اقصد في مشيك، واغضض من صوتك، والنهي: لا تشرك بالله، لا تمش في الأرض مرحا، لا تصعّر خدّك للناس.) أما قوتها الإنجازية المستلزمة فقد اتحدت في النصح والتوجيه، وهو الغرض التداولي المرجو منها، واستراتيجيتها المناسبة هي التوجيهية المباشرة، مع بعض الحجاج لتثبيت التوجيه والنصيحة، وتحقيق الغرض التداولي العام وألّا تكون حكرا على ابنه فقط؛ فهذه التوجيهيات تعني جميع الناس من أخذ بها نال الثواب، ومن تركها لزمه العقاب.

خاتمة:

للخطاب القرآني خصوصيته وتفرده، وله آثار في المتلقين، وشمل خطاب الآباء والأبناء في القرآن عدة موضوعاته أبرزها في المجال الدعوي والعقدي، وخص أغلبه الأنبياء، ويدخل الخطاب في المجال التواصلي للغة؛ وهو مجال تركّز عليه التداولية التي تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، وتهتم بكل ما يحيط بالعملية التكلمية، ويعدّ

السياق عنصرا مهما لفهم الخطاب وهو ما تعتمده التداولية ولا تفرط فيه، ومن أبرز مكونات جهازها المفاهيمي التي شملتها دراسة هذا البحث؛ الإشاريات ومتضمنات الأقوال من حيث الأقوال المضمرة والافتراض المسبق، وكذلك الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري.

مثّل خطاب الآباء والأبناء توجيهات ونصائح، وتنوعت موضوعاته بين مجال التوحيد والدعوة إلى عبادة الله وحده وإلى الدين الإسلامي، والحث على الالتزام بطاعة الله والوالدين، ومكارم الأخلاق وحسن التعامل مع النفس والآخرين، واتفقت القوة الإنجازية الحرفية للأفعال الكلامية على الأمر والنهي والإخبار، وتنوعت قوتها الإنجازية المستلزمة بين النصح والوعظ والتهديد والوعد والوعيد، والتوجيه.

وظفت الاستراتيجية الخطابية التوجيهية في هذا الخطاب بشكل كبير، تليها الاستراتيجية الحجاجية، وهذا راجع لطبيعة موضوع الخطاب الذي شمل الدعوة إلى الله والالتزام بتعاليم الدين في أغلبه، وبنسبة أقل الاستراتيجية التضامنية التي تساعد على حفظ علاقة المتخاطبين، ويوظفها المتكلم للتأثير في المتلقي، بينما وردت الاستراتيجية التلميحية مرة واحدة، واختيار الاستراتيجية المناسبة مرتبط بالموضوع وسياق الكلام والظروف المحيطة به.

وقد ساعدت التداولية والمنهج التداولي بآلياته واستراتيجياته الخطابية في فهم الخطاب ومقصود المتكلم وأثره في المتلقي.

ومنه فلا غرو أن يستثمر النص القرآني وخطاباته وأساليبه في المجال اللغوي التواصلي والاجتماعي، وكذلك الاستفادة من الدرس التداولي في مجالات استعمال اللغة والتواصل بكل أشكاله.

المراجع

[1]– نعمان بوقرة: محاضرات في اللسانيات المعاصرة، منشورات جامعة الجزائر، ع17، جانفي 2006، ص: 174.

[2]– محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002: ص ص: 12، 52.

[3]– عبد الهادي ظافر الشهري: استراتيجيات تحليل الخطاب مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004، ص81.

[4]– مريم فرنسيس: في بناء النص دلالة محاور الإحالة الكلامية–منشورات وزارة الثقافة–دمشق1998.ص ص: 18–19.

[5]– عمر بلخير: الخطاب تمثيل للعالم–دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية–الخطاب المسرحي نموذجا–رسالة ماجستير، تحت إشراف: د: خولة طالب الإبراهيمي، جامعة الجزائر:1996–1997، ص108.

[6]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص:30.

[7]– عمر بلخير: الخطاب تمثيل للعالم، ص: 108.

[8]– بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012، ص:257.

[9]–ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى، تر: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012 ص:355.

[10]–عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007ص:17، نقلا عن: مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص: 393.

[11]– طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998، ص: 226.

[12]– أحمد المتوكل: قضايا العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، د.ت، ص ص: 16–17.

[13]– حسن شحاتة وزينب النجار: معجم المصطلحات التربوية والنفسية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2003، ص:39.

[14]– الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص: المقدمة.

[15]– ابن عاشور محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج16، ص: 114.

[16]– م. ن: ج16، ص: 113.

[17]– م. س: ج16، ص: 114.

[18]– م. س: ج16، ص: 118.

[19]– م. س: ج16، ص: 120.

[20]– الزمخشري جار الله أبو القاسم: الكشاف، تح: عادل أحمد عبد الوجود، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1، 1998، ج4، ص: 25.

[21]– محي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكرم وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، ط7، 1977، ج4، ص: 608.

[22]– ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر، السعودية، ط2، 1999، ج: 7، ص ص: 27، 28..

[23]– ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج: 23، ص ص:151، 152.

[24]– النيسابوري أبو الحسن علي: أسباب النزول، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت.: ص: 27.

[25]– أبو جعفر الطبري: تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ج3، ص: 93، 94.

[26]– ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج1، ص: 730.

[27]– محمود صافي: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، دار الرشيد، دمشق، سوريا، ط3، 1995. ج: 1 ، ص: 271. والدرويش: إعراب القرآن وبيانه: ج: 1، ص: 177.

[28]– ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج: 1، ص: 732.

[29]– ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج12، ص: 76.

[30]– القرطبي أبو عبد الله محمد: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط2، 1952، ج16، ص: 197.

[31]– الزمخشري: الكشاف: ج5، ص: 500.

[32]– ابن عاشور: التحرير والتنوير: ج26، ص: 37.

[33]– مقال في: إسلام ويب: فتوى رقم: 33736: في: 2003/06/24. /24ربيع2–1424هـ library.islamweb.net